

المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣ م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا



الأنوميا في رواية (في ممر الفئران)
للدكتور أحمد خالد توفيق

- وتوظيف التناسخ في البناء السردى -

Anemia in a novel (in rat lane)

Dr. Ahmed Khaled Tawfiq – and the employment
of intertextuality in the narrative construction –

بـ بقلم الـرـكـتـورة

نهلة أحمد محمد خليل

المدرس بقسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بالإسكندرية - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

الجزء الأول (إصدار يونيو ٢٠٢٣ م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأنوميا في رواية (في ممر الفئران) للدكتور أحمد خالد توفيق - وتوظيف التناس في البناء السردى -

ذهلة أحمد محمد خليل

قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية - جامعة الأزهر -

جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Nahlakhalil1980@gmail.com

المخلص

يتناول هذا البحث ظاهرة (الأنوميا) أو ما يعرف باللامعيارية واللاقانون في رواية (في ممر الفئران) للدكتور أحمد خالد توفيق، وقد جمعت الرواية بين الواقع والخيال وجاءت النصوص السردية في معظم الرواية حاملة رؤية الكاتب التي أراد توصيلها إلى المتلقي، كما أنها كشفت عن تنوع مصادر معرفته واهتماماته بتشكيل الوعي الثقافي للقارئ. وتظهر أهمية الموضوع من خلال إظهار أهمية التواصل بين النص والمجتمع وطرق توظيف النصوص لخدمة المجتمع من خلال التركيز على أكبر المشكلات التي تواجه المجتمع في العصر الحديث من خلال التحديات الكثيرة التي تواجهها المنظومة الاجتماعية. كما تبدو أهمية الموضوع من خلال الطريقة السردية للكاتب التي حاول فيها اختيار نصوص تتناس مع نصه في وصف ممتع يجذب القارئ ليواصل قراءته مع كآبة الموضوع والسوداوية القائمة عليه.

الكلمات المفتاحية: أحمد خالد توفيق، رواية في ممر الفئران، الأنوميا،

التناس.

Anemia in a novel (in rat lane) Dr. Ahmed Khaled Tawfiq - and the employment of intertextuality in the narrative construction-

Nahla Ahmed Mohamed Khalil

Lecturer in the Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Alexandria , Egypt .

Email: Nahlakhalil1980@gmail.com

Abstract

This research deals with the phenomenon of (anemia) or what is known as non-normality and non-law in a novel (in rat lane) by Dr. Ahmed Khaled Tawfiq,

The novel combined reality and imagination, and the narrative texts in most of the novel carried the writer's vision that he wanted to communicate to the recipient. It also revealed the diversity of his sources of knowledge and his interests in shaping the reader's cultural awareness.

The importance of the topic is shown by showing the importance of communication between the text and society and ways of employing texts to serve the community by focusing on the biggest problems facing society in the modern era through the many challenges facing the social system.

The importance of the topic is also evident through the writer's narrative method in which he tried to choose texts that intertwine with his text in describing what attracts the reader to continue reading with the gloom of the topic and the melancholy based on it.

Keywords: Ahmed Khaled Tawfiq, A novel in the passage of mice, anemia, intertextuality.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يتناول هذا البحث ظاهرة (الأنوميا) أو ما يعرف باللامعيارية واللاقانون في رواية (في ممر الفئران) للدكتور أحمد خالد توفيق، وقد وقع اختياري على رواية (في ممر الفئران) إحدى روايات الكاتب (أحمد خالد توفيق) حيث جمعت الرواية بين الواقع والخيال، وجاءت النصوص السردية في معظم الرواية حاملة رؤية الكاتب التي أراد توصيلها إلى المتلقي، كما أنها كشفت عن تنوع مصادر معرفته واهتماماته بتشكيل الوعي الثقافي للقارئ.

أما عن الدراسات السابقة فلم أقف على دراسة أكاديمية خصصت لهذا الموضوع على الرغم من اهتمام بعض النقاد برصد الأدب الاجتماعي والروايات التي تمثله.

ومع وجود أبحاث قليلة تحدثت عن أحمد خالد توفيق، لكن موضوع النقد الاجتماعي وتوظيفه في رواياته لم يطرق بصورة واضحة حتى الآن، على الرغم من تعدد رواياته التي تعالج المجتمع وتتعرض إلى نقد الكثير من المسالب فيه.

وتظهر أهمية الموضوع من خلال إظهار أهمية التواصل بين النص والمجتمع وطرق توظيف النصوص لخدمة المجتمع من خلال التركيز على أكبر المشكلات التي تواجه المجتمع في العصر الحديث من خلال التحديات الكثيرة التي تواجهها المنظومة الاجتماعية.

كما تبدو أهمية الموضوع من خلال الطريقة السردية للكاتب التي حاول فيها اختيار نصوص تتناس مع نصه في وصف ممتع يجذب القارئ ليواصل قراءته مع كآبة الموضوع والسوداوية القائمة عليه.

ومن ثم استخرت الله عز وجل أن أجعل من رواية الدكتور أحمد خالد توفيق (في ممر الفئران) دراسة بحثية عنوانها: (الأنوميا في رواية (في ممر الفئران) للدكتور أحمد خالد توفيق - وتوظيف التناس في البناء السردية)، وكانت أهم البواعث لتخير موضوعي هذا:

أولاً: رواية في ممر الفئران تحتوي على تناسات بتنوع كبير وكثافة عالية مما جعلني أريد استكشاف طريقة الكاتب الخاصة في توظيف التناس. ثانياً: قراءة النص الأدبي بغية التنقيب عن محتواه وأسارره الدلالية ومحتواه الثقافي عن طريق العودة إلى التراث العربي والثقافات الغربية التي استقى منها الكاتب تناساته تقدم نتائج مفيدة لها أهمية في مجال النقد التطبيقي وفي إظهار خصوصية الأديب في مجاله الإبداعي، حيث يعد التناس علامة بارزة على نضج الأديب واكتمال موهبته الإبداعية.

أما عن أهداف البحث فهي كالآتي:

أولاً: عرض رؤية الدكتور أحمد خالد توفيق - من واقع المجتمع الذي نعيشه - لظواهر الأنوميا في المجتمع الحديث الناتجة عن انهيار القيم والمبادئ، والتفكك الأسري، وبطالة أصحاب الشهادات، وتلاشي أصحاب القيم، ومخاطر هذا على المجتمع. ومن ثم النظر في معالجة هذه الظاهرة من خلال المزيد من التربية السليمة التي تعتمد على الاستقرار والتوازن.

ثانياً: خدمة الدراسات النقدية التطبيقية في مجال الأدب العربي، عن طريق عرض وتحليل ظاهرة التناس من خلال القالب الفني للسرد في

الرواية؛ حيث نجح الكاتب في اختيار النصوص التي تتناص مع ظاهرة الأنوميا وإظهار التفاعل بين نصه السردي والنصوص الأخرى؛ لوصف هذا التراجع القيمي والانهيال الأخلاقي والفوضى والانحراف السلوكي وانحسار القيم النبيلة وضرب الحائط بكل القواعد والأصول.

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على رصد ملامح الأنوميا ومظاهرها المادية والنفسية المنعكسة في السرد عن طريق توظيف الكاتب لظاهرة التناص في توضيح هذه الفكرة. وقد فرضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث سبقهم تمهيد، وتلاه خاتمة تضمنت أهم النتائج، وفهرسان: أولهما للمصادر والمراجع، وثانيهما للموضوعات التي شملها البحث، فجاء مقسمًا كالآتي:

التمهيد، واشتمل على أربعة أمور :

التعريف بالكاتب

(الرواية - المحتوى والعنوان)

مدخل عن تعريف الأنوميا

مدخل عن التناص

المبحث الأول: التناص الديني

المبحث الثاني: التناص الأدبي

المبحث الثالث: التناص التاريخي

وأخيرًا خاتمة النتائج، وثبت المصادر والمراجع، وفهرس عام.

وأدعو الله العلي القدير أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكلمه بالقبول، ويوفقني إلى ما يحبه ويرضاه، وله الحمد أولًا وآخرًا ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

- التعريف بالكاتب

أحمد خالد توفيق فراج هو الطبيب والأديب المصري، ويعد الأشهر في مجال أدب الخيال العلمي والفانتازيا، وأول كاتب عربي في مجال أدب الرعب، ولقب بالعراب.

وهو من مواليد (١٠ يونيو ١٩٦٢م)، بمدينة طنطا محافظة الغربية، وتوفي في الثاني من إبريل عام ٢٠١٨م عن عمر يناهز خمسة وخمسين عاماً إثر أزمة قلبية حيث كان يجري عملية جراحية في مستشفى الدمرداش وشيعت جنازته في اليوم التالي لوفاته في الثالث من إبريل.

تخرج في كلية الطب جامعة طنطا عام ١٩٨٥م، حصل على الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام ١٩٩٧م، واشتغل عضو هيئة تدريس واستشاري قسم أمراض الباطنة المتوطنة في كلية الطب جامعة طنطا.

بدأ كتابة الرواية بسلسلة (ما وراء الطبيعة) عام ١٩٩٣م، وقد حققت السلسلة استقبالا جيدا من الجمهور ونجاحا كبيرا، رغم أن أدب الرعب لم يكن سائدا في ذلك الوقت، وأصدر بعدها سلسلة (فانتازيا) عام ١٩٩٥م، وسلسلة سفاري عام ١٩٩٦م.

وقام أحمد خالد توفيق أيضا بتأليف روايات حققت نجاحا جماهيريا واسعا، أشهرها (يوتوبيا) عام ٢٠٠٨م، وقد ترجمت إلى عدة لغات وأعيد نشرها أكثر من مرة، وأيضا رواية (السنجة) صدرت عام ٢٠١٢م، ورواية (مثل إيكاروس) عام ٢٠١٥م، ثم رواية (في ممر الفئران) التي صدرت عام ٢٠١٦م، وهناك مؤلفات أخرى مثل (عقل بلا جسد)، و(قصصات قابلة للحرق)، و(الآن نفتح الصندوق) وقد صدرت على ثلاثة أجزاء.

واشتهر أيضاً بالكتابات الصحفية، فقد كانت له منشورات في جريدة التحرير كما أنه انضم عام ٢٠٠٤م إلى مجلة الشباب، وكتب الكثير من المقالات في عدد من الصحف والمواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات الدولية، كما كان له نشاط ترجمي فقد قام بنشر سلسلة (رجفة الخوف) وهي روايات رعب مترجمة وقام أيضاً بترجمة رواية (ديرمافوريا) عام ٢٠١٠م وترجمة رواية (عداء الطائرة الورقية) عام ٢٠١٢م.^(١)

- (الرواية - المحتوى والعنوان)

تتناول رواية (في ممر الفنران) شخصية رجل وهو (شرقاوي) الذي كان لديه توتر من المجتمع وفرط التفكير في المستقبل، فلجأ إلى تناول أدوية منومة، وما أن يفيق من غيبوبته حتى يعود ليدخل فيها من جديد، وتبدأ من هنا القصة حيث التخيلات والأحلام في هذه الغيبوبة، فيتخيل الشرقاوي اصطدام نيزك بالأرض، وهو موضوع مهدت عنه الصحافة طويلاً وتحدثت عن آثاره، حيث تحول الكون تدريجياً إلى الظلام وكان لزاماً أن يجدوا حلاً؛ للتفكير في وسائل مؤقتة للتعامل مع الظلام بعد نفاذ الكهرباء فلجأوا إلى الشموع والزيت والغاز، وفي نهاية القصة يكتشف (شرقاوي) أن هناك نوراً في أعالي الجبال، ويجد شخصاً يحكم الكون هو القمندان.

ومن خلال الخيط السردي الطويل لهذه الرواية توجد قصص أخرى صغيرة متداخلة وعابرة، تمثل كلها أفراد أسرة واحدة تتمثل في رامي الذي

(١) ينظر موقع (التميز السابع)، وموقع (أعلام ومشاهير) و(إضاءات) و(بوابة الأهرام)، و(المصري اليوم)، وينظر جريدة الأهرام المسائي العدد (٩٨٣٧) الموافق الثلاثاء ٣/ إبريل ٢٠١٨م، ص ٢، في مقال عنوانه: اليوم تشييع جنازة العراب أحمد خالد توفيق في طنطا، وجريدة الأهرام السنة (١٤٢) العدد ٤٧٩٦٦، الأربعاء، ١٧ رجب ١٤٣٩هـ، ١٤ إبريل ٢٠١٨م، ص ٢، في مقال عنوانه: (مبدع ما وراء الطبيعة يغادر كما يليق به).

يحب زميلته في الجامعة، والتي يتزوجها وينجب منها في الظلام، وأخته عزة المعلمة والتي فاتها قطار الزواج، وأخوه رامي الذي كان يحب زميلته في الجامعة.

وكانت لحظات القصة كلها تدور حول اقتناص لحظة من نور أو متعة من ضوء للهروب من الظلام الدامس.

- عنوان الرواية

ويحمل عنوان الرواية الكثير من المعاني التي تختص بنمط التفكير، فالرواية تدور حول توقع الناس سقوط نيزك يهز أرجاء العالم كله وربما تكون هذه النهاية وتقوم القيامة، وكان لهذا سببه في اختلال المعايير والقيم الصالح منها والفاسد، فالبعض لا يعيريه الأصول بل يعيش الفوضى ويتحرر من القواعد لضعف إيمانه وعدم ثقته، وآخرون يعيدون ترتيب الأمور ويؤمنون أن الأعمال بالنهايات فيصلحون ما أعوج ويقيمون ما مال، وهم قلة جدًا.

ويستحضر القارئ مع كلمة الممر: المعبر الضيق الطويل المظلم، وتبرز رمزية (الفئران) مع اقترانها بلفظة (ممر) إلى حياة شخصيات روايته في هذا العالم المظلم الذي يعيشون فيه على الخوف من النور ويفضلون العزلة عن المجتمع ولا يهتمون بقيم ولا يكثرثون بأخلاق.

- مدخل عن تعريف الأنوميا

تعرف كلمة الأنوميا باللامعيارية وهو مصطلح يصف حالة اجتماعية شديدة الاختلاف لتبعات انهيار التنظيم الثقافي والبنية المؤسسية. اتخذه الموظفون البنيويون مفتاحًا لفهم بعض المشاكل الرئيسة للحدثة، وهي تعني اللاقانون واللاقاعدية وتتم جميعها عن فك التركيب الذي يؤدي إلى

حالة اللانظام أو اللاقانون وإلى افتقار مفهوم السلوك إلى القاعدة والمعيار التي يمكن بها وبناء عليها قياس أو تمييز السلوك السوي عن السلوك غير السوي. وفي حالة انتشار حالة اللامعيارية تصاب القيم والأعراف والقوانين في المجتمع بالضعف والوهن وتفقد بذلك القاعدة التي تعتمد عليها بسبب عدم القبول أو عدم جدواها والقناعة بها وبالتالي يحدث قلق وتوتر لدى الفرد وبالتالي ارتبائه أو عزله عن المجتمع^(١) واشتق لفظ أنوميا من المصطلح اليوناني anomia وتعني غياب القانون.^(٢)

ويؤكد (روبارت ماتون) بأن الأنوميا هي عدم وجود معيار ناتج عن فجوة كبيرة بين الأهداف الاجتماعية والوسائل المتاحة للأفراد للوصول إليها.^(٣)

فالأنوميا إذاً هي الإحساس بانعدام الهدف أو القنوط الناجم عن الحياة الاجتماعية الحديثة فالأخلاق التقليدية التي كان ينطوي عليها الدين والتي كانت تقوم بمهمة الضبط سرعان ما تبدأ بالتفكك مع البدء بالتنمية الاجتماعية الحديثة مما يدفع بعدد كبير من الأفراد إلى الإحساس بأن حياتهم لا معنى لها ولا دلالة.^(٤)

(١) الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع ، علي عبد الرازق جلبي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م ، الإسكندرية ، ص ٤ .

(٢) أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاس ، بياربورديو، ترجمة عبد الجليل الكور، دار توبقال للنشر، المغرب ١٩٩٧م، ص ١٥ .

(٣) الأنوميا الاجتماعية وتأثيرها في المدرسة ، يوسف بن صالح ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وحدة البحث والتنمية والمحيط الاجتماعي بصفافس، تونس، مجلة دراسات ، ISSN:2335-187X1k E.ISSN:260Z-5213 المجلد ٩ العدد ١، السنة ٢٠٢٠م، ص ٣٧ .

(٤) مجلة دراسات إسلامية معاصرة ، عبد الكريم كاظم القرشي ، الظاهرة الاجتماعية عند اميل دور كايم (تحليل اجتماعي) ، العدد السادس ، السنة الثالثة ، ٢٠١٢م، ص ٣٤٦ .

واختلال الأنوميا أو اللامعيارية أو اللاقاعدية واللاقانون يؤدي لا محالة إلى حالة من اللانظام والبلبلة والشك وافتقار مفهوم السلوك إلى المعيار والقاعدة ويصبح في حالة اختلال، وحينها تصاب القيم والقوانين والأعراف في المجتمع بالوهن وتفتقر المعايير الواضحة لتحديد الفروق بين السلوك الاجتماعي المشروع واللامشروع. (١)

ويعد السبب الأول هو انهيار العلاقات الانسانية وتشنتها بعد ما كانت وطيدة متماسكة، نتيجة ارتباط الجيل الأخير بالعالم الافتراضي على الفيسبوك ونحوه. (٢)

- مدخل عن التناس

وهو من أكثر الظواهر الفنية رواجاً واستخداماً ولفتاً لانتباه النقاد في العصر الحديث، ولا يخرج مجمل القول في التناس عن حدود الفهم المتشكل من رؤية كون التناس هو: "التحام بين نصين: أحدهما من نصوص سابقة ونص جديد، وعليه فالقارئ النموذجي هو من يكتشف الأصل، فالتناس هو الدخول في علاقة مع نصوص بطرق مختلفة يتفاعل بواسطتها النص مع الماضي والحاضر والمستقبل ويتفاعل مع القراء والنصوص الأخرى." (٣)

-
- (١) الشباب وظاهرة الأنومي ، قراءة في صراع الهوية القومية والعالمية ، إعداد :اد/ طلعت مصطفى السروجي عميد كلية الخدمة الاجتماعية الأسبق جامعة حلوان، اد/ سامية همام أستاذة خدمة الفرد كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، العدد الثالث، ص ١٣، ١٤.
- (٢) الأنوميا الاجتماعية وتأثيرها في المدرسة ، يوسف بن صالح، ص ٣٨.
- (٣) النقد والدلالة نحو تحليل سمياني للأدب، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، ط. ١٩٩٦، ص ١٤٨.

وفي الأصول العربية للتناص يمكن الإشارة للخطيب القزويني في كتابه (تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع) حين تحدث عن فكرة الاقتباس وهو "أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث"^(١)، وفي كتاب (العمدة) لابن رشيق "أن باب السرقات باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخرى فاضحة لا تخفى عن الجاهل المغفل"^(٢)، وعند صاحب (أسرار البلاغة) عبد القاهر الجرجاني تحدث في فصل سماه الاتفاق في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة: "وبذلك أن الشاعرين إذا اتفقا لم يخل من أن يكون إما في وجه الغرض على الجملة والعموم، أو في وجه الدلالة على الغرض"^(٣)، وتحدث أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين عن حسن الأخذ عندما قال: "وإنه ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين"^(٤).

(١) تلخيص المفتاح، في المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، قرأه وكتب حواشيه وقدم له ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية سيديا، بيروت، ط. ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م، ص ٢١٧.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، لبنان، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة) ص ٢٨٠.

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، الناشر دار المدني بجدّة، ص ٣٣٨.

(٤) الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، حققه وضبط نصه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. ٢، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٢٤٩.

ورغم كثرة من تناول المصطلح في العصر الحديث إلا أن الناقد الدكتور محمد مفتاح في كتابه (تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناس)، وفي تعريفه للتناس عرض تعريفات الكثير من النقاد وغيرهم ثم خلاص إلي تعريف جامع للتناس هو: "تعلق «الدخول في علاقة» مع نص حدث بكيفيات مختلفة".^(١)

وعرفه أيضاً الدكتور أحمد الزغبى في أبسط صورته أنه يعني: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب؛ بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليشكل نص جديد واحد متكامل".^(٢)

ومما يجب الإشارة له أن تعلق النصوص فيما بينها يجعل للنص جمالية لدى القارئ وهو تعلق يتحقق بين الماضي والحاضر، وهو يختلف ويتفوق عن الاقتباس الذي يعني "اقتطاع النص السابق والزج به في النص اللاحق دون أن يتفاعل مع جزئياته أو يتحد معها".^(٣)

وفي النهاية نود الإشارة إلى أن النصوص قد تتشرب من بعضها دون قصد؛ لنخلص لقول إن أي نص ليس بمعزل عن التناسية، وقد حملت الرواية الكثير من المضامين الاجتماعية والسياسية والتربوية، واستطاع

(١) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناس)، محمد مفتاح، ط ٣ (بيروت، المركز الثقافي

العربي ١٩٩٢م) ص ١٢١

(٢) التناس نظرياً وتطبيقياً، الدكتور أحمد الزغبى، عمان، الأردن، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص ١١.

(٣) من معالم الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، إبراهيم خليل، الطبعة الأولى، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، ص ١٦٣.

الكاتب بمهارة عجيبة توظيف الكثير من عناصر التراث كالقرآن الكريم، والشعر، والحكايات والأساطير القديمة، ومن أهم أنواع التناص التي وردت عند الكاتب: التناص الديني والأدبي والتاريخي، وهو ما سيأتي عرضه في المباحث الآتية بمشيئة الله تعالى .

المبحث الأول : التناس الديني

ويقصد به :تداخل نصوص دينية مُختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين مع القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً. (١)

ويمكن دراسة التناس الديني عند الكاتب في الرواية من خلال تتبع مصادر الاقتباس الديني عنده والتي تمثل معظمها في القرآن الكريم، كما في قول الكاتب: "هي تحرشت بي .. كانت تريد تعديل درجاتها وأنت تعرف .. قميص سيدنا يوسف.. هيت لك .. هيت لك." (٢) ونلاحظ تماس الكلام مع الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾

وكان تناس الكاتب مع الآية القرآنية الكريمة في سياق الحديث عن سيدنا يوسف عليه السلام، وحاله مع السيدة زليخة، بيد أن الدلالات مختلفة، فالسياق الذي وردت فيه الآية الكريمة يدور حول طلب السيدة زليخة للنبي يوسف عليه السلام، وامتناع سيدنا يوسف عنها، فالسياق في الآية الكريمة إذاً هو إظهار امتناع الرجل ورغبة المرأة، وإظهار عفة الرجل وانحلال المرأة، وهو ما أراد الكاتب إظهاره على لسان وقصد الدكتور مصطفى مع الطالبة التي تحرش بها، وكأنه يريد إظهار براءته بعمل نفس الإسقاطات التي وردت في قصة سيدنا يوسف.

(١) التناس نظرياً وتطبيقياً ، أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر، عمان، ٢٠٠٠م ط٢، ص ٣٧.

(٢) رواية (في ممر الفئران) للدكتور أحمد خالد توفيق ، القاهرة الكرمة للنشر ٢٠١٦م، ص ٣٣.

(٣) سورة يوسف، الآية ٢٣.

وتظهر فكرة الأنوميا لدى الدكتور مصطفى في سياق الدفاع عن النفس وهو الجاني ويرى من الطالب رامي عدم تصديقه في شكل من أشكال اللامعيارية، ومما يؤكد ذلك الكلمات التي أتت بعد ذلك في إطار الاستفهام حين يقول الدكتور مصطفى للطالب: "ماذا رأيت؟ وماذا فهمت؟" (١) كما ظهرت في المفارقة القائمة بين شخصية الأستاذ الجامعي وما ينبغي أن يكون عليه من حسن الخلق وما فعله الدكتور مصطفى مع الطالبة، وهو ما أوضحتها فكرة التناص مع الآية الكريمة.

وفي قول الكاتب: "يا معذبي ... أي عقلي... الذي لن يرضى أبداً ولن يهدم أبداً أي عقلي يا ألد خصم لي على ظهر البسيطة أيها الحاقد الأعظم .. يا من لا يرضى، عندما يبدأون في جراحات استئصال العقول فلسوف أكون أول من يتطوع." (٢)

وقوله هنا "يا ألد خصم" يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٣)

والسياق الذي وردت فيه الآية الكريمة عن المنافقين الذين يظهرون عكس نواياهم، وأن منهم من يظهر قولاً جميلاً وهو ينوي قبيحاً فهو شديد العداوة والخصومة للإسلام والمسلمين (٤)، فالسياق في الآية الكريمة هو

(١) رواية (في ممر الفئران) ، ص ٣٣.

(٢) رواية (في ممر الفئران) ، ص ١٢.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٠٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤م، الجزء الثالث، ص ١٤، والتفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، جزء ١ ص ٣٢.

عدم الاستماع لهم أو تصديقهم وأخذ الحذر منهم، وعندما انتقلت الآية لتأخذ سياقاً جديداً تعبر فيه عن الصراع بين الإنسان وعقله وعداوة الإنسان لعقله وأفكاره وتحقق المخاوف منه وأوحت بالحذر والحيطة وضرورة التخلص منه ظهرت المفارقة وفكرة الأنوميا؛ لأن الحذر والحيطة والرفض تعلق هنا بالعقل الذي يفترض أن نأخذ منه القرارات الصائبة ونقبل الأفكار السديدة لكن هذا لم يكن واقعه الصحيح وإنما آل أمره إلى ضرورة أخذ الحذر منه بل التخلص منه وقلعه من مكانه، ولعل هذا الرفض الذي طالعنا في هذا المشهد هو ما دفع الكاتب إلى هذا التناس الذي عكس للمتلقي مدى العذاب الذي يعيشه الإنسان مع عقله الذي يملئ عليه الأفكار التي تزعزع أمانه وتلقي الخوف في قلبه، وهو حال المنافق الذي له نفس الأثر في النفوس.

وفي قول الكاتب: "قد عم الشر والخبث وشاء الله أن يذهبنا ويأتي بخلق جديد... قد تخلينا عن ديننا فهل كنا، هل هو يوم القيامة؟" (١)

وفي جملة من التناسات المتتالية عن هلاك الناس بسبب تفشي اللامعيارية في القوانين والأعراف والتقاليد، يأتي حديث الكاتب عن سقوط نيزك يهز أرجاء مصر والعالم والخوف كل الخوف من لحظة الارتطام والتي توقع الناس بعدها أنها يوم القيامة، ويتناس عرض الكاتب من كون هذا النيزك عقاباً لنا لتخلينا عن ديننا مع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودُ بِهِمْ وَيُؤَاتِي بَخْلَقٍ جَدِيدٍ﴾ (٢) وسبب الكاتب هذا بأننا تخلينا

(١) رواية (في ممر الفئران) ، ص ٥١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ١٩.

عن ديننا في قوله: "تخلينا عن ديننا فهلكننا" ليتناص أيضاً مع قوله تعالى :

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥٥﴾ (١)

وفي قول الكاتب: "مد يده إلى القداحة وداعب الترس، في اللحظة التالية توهج الضوء،..... ومن جديد ساد الظلام..... وإن ظلت الشمس تتوهج في الشبكية للحظات هنا بدأ الجحيم، سمع من يصرخ متمرد! كافر! زنديق! لقد لوث الظلام.....تلويث الظلام.

لم يعرف أنه ارتكب كل هذه التهم لكن يمكنه تخيل العقاب، هو لن يقتصر على السجن. منذ فجر التاريخ ومصير الزنادقة هو قطع الرقبة أو الحرق، مصير المتمردين لا يختلف كثيراً، ولات حين مناص. لا.. لن يكون هناك حرق ما دامت لا نار هنالك." (٢)

فقوله هنا: "ولات حين مناص" يستدعي معه القارئ قوله تعالى:

﴿كُرِّهْنَا لَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَاوَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ (٣)

والآية تبين حال "هؤلاء الذين نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ولما رأوا العذاب أريدوا التوبة" (٤) وهو نفس حال أولئك المتمردين على الضوء عندما أشعل الشرقاوي القداحة، والكاتب أتى بجزء يسير من الآية الكريمة وهي "ولات حين مناص" وقد أظهر هذا التناص التشابه بين هؤلاء الذين نادوا بالتوحيد بعد نفاذ الوقت وفوات الأوان فلن يجدى نداؤهم ولن

(١) آل عمران ، ٨٥ .

(٢) رواية (في ممر الفئران) ، ص ٩٥ .

(٣) سورة ص، آية ٣ .

(٤) تفسير القرآن الكريم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري،

تحقيق سامي بن محمد السلامة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٥١٤٢٠ هـ،

١٩٩٩ م، الجزء السابع، ص ٥٢ .

تنفع توبتهم فاستحقوا العقاب، وحال الشرقاوي الذي أشعل القداحة في الظلام بعد اعتياد الناس على الظلام وتعايشهم معه، فاتهم بالتمرد وتلويث الظلام الذي يستحق معه العقاب، والسياق في الموقفين يفيض بكم هائل من الإيحاءات والدلالات التي تبين عدم الفائدة والنفعة. كما أحدث التناس المفارقة وأظهر الأنوميا التي اتضحت في عقاب من يمارس النور في عالم الظلام عندما أصبح الظلام هو الأصل الذي يعيش فيه الناس والنور شاذ عنه.

وفي قوله: "أعتقد أننا سنحسد أولئك الذين هوى عليهم النيزك فأبادهم....نعمة الموت المفاجيء بلا خوف ولا جوع ولا ظمأ ولا ألم." (١)
 وفي ثنائية الجمع بين الجوع والخوف يتناس الكاتب مع قوله تعالى في مواضع متعددة من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَبَلَوْنَاكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ (٣)، وقوله تعالى ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (٤).

ولأن أشد ما يعترى الإنسان حال الوفاة أو أحد أسبابها هو الإحساس بالخوف أو الظمأ والجوع وما يتعلق بهم من إحساس بالألم، لذلك كان عقاب الله به لمن كفر بأنعم الله، وكان ثواب من امتثل بأوامر الله النجاة منه. وهنا

(١) رواية (في ممر الفئران) ، ص ١٤٨.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٥٥.

(٣) سورة النحل ، آية ١١٢.

(٤) سورة قريش، آية ٤.

أتى التناص غايته وتحققت أهميته في إظهار كآبة الموقف وسوداوية الحياة؛ فترقب نزول النيزك وتوقف عجلة الحياة وما يتبعه من توقف الإنتاج والاقتصاد وتفشي المجاعات والمرض كان عقاباً لعدم الامتثال لأوامر الله تعالى، لذلك فإن تمنى سقوط النيزك فجأة دون الشعور بآلام الخوف أو الظماً والجوع أضحى أمنية الجميع.

وفي قول الكاتب أيضاً: "أجرى بعض الحسابات على أصابعه ثم استبعد أن يكون منحوساً خصباً لدرجة أن تحمل منه في أيام معدودات." (١)

وقوله: "أيام معدودات" يتناص مع قوله تعالى في أكثر من موضع: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿١٨٥﴾ (٢) وقوله: ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٨٦﴾ (٣) وقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١٤﴾ (٤)

وسميت الأيام هنا معدودات لقلتهن كقوله: "دراهم معدودة" أي معيّنات بالعد أو قليات، لأن القليل يسهل عدّه فيعد والكثير يؤخذ جزافاً" (٥)، وكان استدعاء النص القرآني في هذه الفقرة يتناسب مع موقف الحذر أو ترقب

(١) رواية (في ممر الفئران) ، ص ١٣٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٨٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٠٣ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٢٤ .

(٥) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي،

بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣ م ، مادة عد .

حدوث أمر مهم ووجوب الاستعداد له؛ لما يترتب عليه من أمور جسيمة، ولما كان موقف الحمل في هذا التوقيت جله خطير مع سقوط النيزك وتوقع ظهور إشعاعات ضارة قد تضر الأجنة، كان (رامي) يطمئن نفسه بأنها أيام معدودات مع زوجه لا يتوقع منها حدوث حمل. ومع تناقض الموقف مع الحياة الطبيعية التي يستلزم معها الإنسان الفرح ببشارة الحمل تظهر الأنوميا عندما يتمنى (رامي) عدم تحقق الحمل ويستبعد حدوثه.

ويمكن القول إن الكاتب في بعض مواضع التناس الأخرى لسياقات القرآن الكريم وألفاظه امتص المعنى القرآني وضمنه في سرده ليضفي على الحوار طاقة إيجابية وقوة إضافية خاصة في مواقف الخوف والضعف التي أحاطت معظم أجزاء الرواية، كما في قوله: "رب أنا أحمل إصرًا ثقيلًا من الخطايا .. اغفر لي فأنت خلقتنا وتعرف ما نحن فيه من وهن . اغفر لي فقد كنت موشكة على الجنون." (١)

والتناس مع قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا نُؤْخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِأَطْقَاعِنَا لَنَا بِهِ نَحْنُ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (٢)

وهكذا كان التناس مع القرآن الكريم في رواية الدكتور أحمد خالد توفيق: "له هدف أدبي جمالي حيث إن أسلوب القرآن هو الأسلوب الأمثل للغة العربية، واتخاذ بعض صورته وأساليبه نموذجًا يضاف للصياغة الأدبية؛ مما يكسبها رونقًا وجمالًا، هذا فضلًا عن الهدف الديني الذي

(١) رواية (في ممر الفئران) ، ص ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٦ .

يجعل التواصل بين القارئ والكاتب تواصلاً خلاقاً؛ لما يجمع بينهما من
 رصيد زاخر بتقديس القرآن الكريم والتأثر بمعانيه العظيمة.^(١)
 وأحياناً لم يوفق الكاتب في التناص مع القرآن كما في قوله: " كان
 المشهد الآن يمر بمرحلة استرحام خادعة. اطلب الرحمة فقد نخف عنك
 الحكم ..الرجل يتوسل ويعرض أن يبيع أمه وأباه وأولاده لو كان هذا يرضي
 القمندان. اطلب أكثر فلعل رحمة القمندان تنتصر. في النهاية يعرف
 الشرقاوي النهاية."^(٢)

فهذا يستدعي معه القارئ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ
 مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَلْحَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ ذَٰلِكَ شَأْنٌ يَّغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾^(٣)
 وقوله تعالى: ﴿يَبْصُرُونَ نُهُجَ نُورٍ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ ذَٰلِكَ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَلْحَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾
 وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾﴾^(٤)

والآيات تحكي أهوال يوم القيامة وفرار الإنسان من أحبابه من شدة
 الفرع، وطلب رحمة الله تعالى، وحال المؤمنين، وحال الكافرين في ذلك
 اليوم، وقد عمل الكاتب على توظيف تراكيب الألفاظ لخدمة المعنى المراد،
 ولكن لم يصبه التوفيق بعض الشيء، عندما غابت عنه الدلالات والإيحاءات
 التي ربما تطرأ على ذهن القارئ عندما يقرأ قول الكاتب: "الرجل يتوسل
 ويعرض أن يبيع أمه وأباه وأولاده"، وقوله: "فلعل رحمة القمندان تنتصر"،

(١) دراسات في أدب مصر العربية، عوض الغباري، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، دار الثقافة
 العربية، القاهرة ، ص ١٨.

(٢) رواية (في ممر الفئران) ، ص ٢٤٨.

(٣) سورة عبس ، الآية ٣٣ حتى الآية ٣٧ .

(٤) سورة المعارج، من الآية ١١ حتى الآية ١٤.

وما توحيه الكلمات عن مشهد يوم القيامة، وطلب رحمة الله تعالى، وما يترتب عليه من استحضار الموقف المهيب والذي ينبغي أن لا يشابهه أي موقف في الدنيا مهما كان حجم المبالغات.

وتتسع عمومية نظرة الكاتب في الرواية إلى المجتمع كله بكل دياناته لتشمل الاقتباس من الإنجيل – أيضاً- ، يقول الكاتب: "الظلام في كل صوب.. ظلام متجانس مخملي يمكنك أن تلمسه وتتحسسه لكن لا تقدر أن تمزقه ظلام بلا بداية ولا نهاية. قال الرب: "فليكن نور" ولكنك جئت العالم قبل تلك اللحظة المقدسة. الظلام في كل صوب.. ظلام كغاز سام يتسرب عبر فتحات الأنف إلى روحك.. روحك تظلم.. تنطفئ." (١)

وفي إشارات قوية لظلام الروح وشعور الوهن والعجز والخوف، وفي سياق التوتر والضيق الذي تشهده لحظات الظلام يقتبس الكاتب من الإنجيل: "وقال ليكن نور فكان نور" (٢)؛ ليربط في مهارة بين الحظ والقدر وبين الحال الذي يعيش فيه الناس هذا الظلام الحالك عندما قال: "لكنك جئت العالم قبل تلك اللحظة المقدسة"؛ ليظهر سوء حظهم فلم يكن لهم حظ من النجاة فبقوا في هذا الظلام، والذي يرمز في الآية إلى لحظات التشتت والضيق قبل معرفة الرب، وهي نفس المعاناة التي يجدها الإنسان مع الظلام قبل الوصول إلى الضوء.

(١) رواية (في ممر الفئران)، ص ٦٩.

(٢) الإنجيل ، سفر التكوين، الاصحاح الأول ١ : ٤.

المبحث الثاني: التناص الأدبي

للتراث الأدبي أيًا كان منبعه فعالية كبيرة في تشكيل رؤى الكاتب والإفصاح عنها بقوالب لفظية ثرية وقوية، فهو يمثل حقلاً معرفياً خصباً "يحتاج إلى نظر نقدي لاختيار العناصر الحية منه، والقادرة على الديمومة والتي تصلح أن تكون شواهداً قادرة على التجدد والتموضع في نصوص جديدة، وتستعصي على الاستهلاك الآني لما تختزنه من ظلال وثرء يتأبى على الاندثار والزوال." (١)

وإعادة تلك النصوص المتوارثة وفق رؤية الكاتب لتنتفح العديد من الآفاق والتأويلات في حوارية مشتعلة وسط حالة من الدهشة والتجديد ليجد المتلقي نفسه أمام نص قديم جديد يكتنز بأبعاد دلالية شمولية وإنسانية في الوقت نفسه. (٢)

وقد ضمن الكاتب من الشعر كثيراً من الدلالات، والمعاني، وأحياناً العبارات، فشكل هذا التضمين رافداً مهماً، لا سيما وأنه أحسن تطويعه لخدمة أفكاره، وصوره، وأحياناً يأتي الكاتب بالأبيات كما هي في إطار الحوار، وأحياناً نجد استدعاء الكاتب لكثير من الأشعار وتكرارها بنفسها في أكثر من موضع في الرواية.

يقول الكاتب: "بحيث صارت للأذن قدرة هائلة على التمييز وتكوين الشخصيات أمر وارد بالطبع الأذن تخدع قبل العين أحياناً هناك مكفوفون

(١) الشاعر العربي المعاصر والتراث، عبد الوهاب البياتي، مجلة فصول، ١م، ٤ع، ١٩٨١م/٢٢.

(٢) آفاق الرؤيا الشعرية دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، إبراهيم نمر موسى، ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية الهيئة العامة للكتاب، رام الله، ٢٠٠٥م، ص١٢٩.

كثيرون تعلقوا بصوت فتاة بينما هي لا تتمتع بأي جمال.. لكن العبرة هي عين الروح وما تراه.^(١)

وقوله: "الأذن تخدع قبل العين أحيانا" يذكرنا بقول الشاعر:

يا قومُ أذني لبعض الحيِّ عاشقةٌ والأذنُ تعشقُ قبل العين أحيانا^(٢)

وقد عمل الكاتب هنا على محاكاة أبيات بشار بن برد في المعنى والدلالة الشعورية، ولكنه وظفها بما ينسجم مع خصوصية التجربة والموقف النفسي في عالم اللامعيارية، فالجميع يمتلك حاسة البصر ولكن لا ينتفع بها، حيث صارت الأذن هي آلة الشعور والإحساس عوضاً عن العين عندما حل الظلام على الكون، وكانت الأذن هي أداة الاتصال مع العالم، كما شاركتها الروح وصارت معها موطن الشعور والإحساس.

وفي قوله: "لا توجد امرأة تتحمل قبلات ولمسات هذا النصب التذكاري الأصلع . لابد أن يجد واحدة تقبل، لكنه لن يقبلها بالتأكيد، على طريقة فأما الحسان فيأبينني، وأما القباح فأبي أنا."^(٣)

وهذا من قول الشاعر:

فأما الحسان فيأبينني وأما القباح فأبي أنا^(٤)

(١) رواية (في ممر الفئران) للدكتور أحمد خالد توفيق، القاهرة الكرمة للنشر ٢٠١٦م، ص ٢٦٥.

(٢) ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبعة وزارة الثقافة 2007م، ص 166.

(٣) الرواية ص ٢٨.

(٤) العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي، الناشر دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى، 1404هـ، الجزء السابع، ص 152.

وهنا وفق الكاتب في الاستشهاد بالنص الشعري في سياق التجربة النفسية عندما أوجد المفارقة بين حال الدكتور مصطفى الذي يتمنى امرأة جميلة مع عدم وسامته وتأكده بأنها لن تقبله. في حين لو تقبلته المرأة غير الجميلة هو لن يقبلها بالطبع.

وفي قول الكاتب: " كان هناك من يصرخ بصوت مذعور: أقسم لكم أنني..... لكن لم يكن ثمة ما يقال. لا يمكن تكذيب النور، وسط هذا الظلام يصير النور فاضحاً مستفزاً بحق. كان الشرقاوي يرتجف من التوتر... شعر بأن ساقيه تتخليان عنه وعرقه يسيل غزيراً .. لا يعرف السبب كان يسمع في الماضي نكتة عن الرجل الذي ذهب لبيبتاع حشيشاً .. رأى رجال الشرطة فألقى بالمال على الأرض وركض هارباً يبدو أنه يمر بذات الطقوس حالياً. أو لربما هو تجسيد لتعبير (يكاد المريب أن يقول خذوني) لو رأوه لأعدموه حالاً بلا مناقشة لأن جريمة النور بادية على ملامحه." (١)

وقوله: "يكاد المريب أن يقول خذوني" مأخوذ من قول الشاعر ابن

سهل الأندلسي:

هِيَهَاتَ لَا تَخْفَى عِلَامَاتُ الْهَوَى كَادَ الْمُرِيبُ بِأَنْ يَقُولَ خُذُونِي (٢)

والفقرة تبين حال الشرقاوي الذي بدت عليه جريمة النور، والكاتب أتى بالشطر الثاني من البيت " كَادَ الْمُرِيبُ بِأَنْ يَقُولَ خُذُونِي "، وقد أظهر هذا الاستشهاد التشابه بين من ارتكب خطأ ويكاد من كثرة قلقه مما جنت يداه أن يعلن سره ويفضح أمره، وربما وصل الأمر به أن يعترف بما فعل،

(١) الرواية ص ٢٤٨.

(٢) ديوان ابن سهل الأندلسي، تأليف ابن سهل الأندلسي، تحقيق يسري عبد الغني عبدالله، دار الكتب العلمية ١٤٢٤-٢٠٠٣ الطبعة الثالثة، ص ٧٨.

ويثير الشك، ويلفت الانتباه، وحال الشرقاوي الذي ظهرت عليه علامات النور في الظلام فاتهم بالجرم والخروج عن القانون الذي يستحق معه العقاب، والسياق يفيض بكم هائل من إichاعات الأنوميا التي تبين عقوبة من يزاول النور في عالم الظلام.

ويقول الكاتب: "فإن رحلت أنا فلن يعزيني في شيء أن تظل النجوم تتوهج من بعدي .. فلا نزل القطر ... فلا نزل القطر." (١)

وهنا تتلاحم المعاني وتظهر فكرة الأنوميا مجسدة في حب الذات وتضخيمها حتى وقت النهاية والفناء فإذا سقط النيزك لا يعبأ شخص إلا بنفسه ولا يبالي بغيره، والبيت الشعري الذي أخذ منه هو قول أبي فراس: مُعلّتي بالوصلِ والموتُ دونه إذا متّ ظمّاناً فلا نزل القطر! (٢) ولعل هذا يتوافق جداً مع تحليل الأستاذ الدكتور خليل الرفوع لهذه الأبيات بقوله: "إذا متّ ظمّاناً فلا نزل القطر دعوة من لا يؤمن بالحياة والخير لغيره، فما دام يعيش فلينزل القطر والغيث والمطر؛ لأن مخرجاته ينبغي أن تكون له وحده، وإذا ما مات فليكن القحط والخراب والموت."

إنها دعوة الذين يرون أنفسهم فوق الوطن وفوق الناس جميعاً . وهي دعوة نرجسية انتهائية واقعية نشأها في واقعنا الاجتماعي، وقد ابْتُلِيَتْ بها أوطانٌ وأممٌ كان عاقبة أمرها خُسراً ودماراً وفناءً، هم أولئك الذين يحبون أنفسهم وينقلبون معارضةً فيعلو نقدهم لمن خالفهم، ويسألون أنفسهم سئلاً من أخطائهم حينما كانوا في مواقع المسؤولية وقد

(١) الرواية ص ٣٦٨.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، طبعة مؤسسة هنداوي عام 2020م، ص 80.

عبر عنهم فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة الفرنسيين فولتير بقوله :
حُبُّ الذاتِ هو كُرّةٌ منفوخةٌ بالهواءِ، تخرج منها العواصفُ إذا ما
ثقبنها. (١)

وفي هذا التناص تتلاحم المعاني وتظهر فكرة الأنوميا مجسدة في حب
الذات وتضخيمها حتى وقت النهاية والفناء فإذا سقط النيزك لا يعبأ شخص
إلا بنفسه ولا يبالي بغيره.

وفي قول الكاتب: "عقل ماهر يشبه نسيج العنكبوت المتشابك المعقد
لكنك تدرك على الفور حقيقة أنه ثائر على كل شيء، وهو يؤمن أن المجد
للشيطان، من قال لا في وجهه من قالوا نعم. كان يخيل لرامي أن ماهر لو
صار حاكم العالم أو منحوه ثروات الكون لظل غاضبًا ساخطًا." (٢)

وقد استدعى الكاتب هنا قول الشاعر أمل دنقل في قصيدته: (كلمات
سبارتاكوس الأخيرة):

المجد للشيطان معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم) (٣)

وسبارتاكوس هو محرر العبيد في مطلع سيتينات القرن الماضي،
وكتب الشاعر أمل دنقل هذه القصيدة ليعبر عن رفضه للواقع السياسي
والاجتماعي الذي أدى بنا فيما بعد إلى نكسة ١٩٦٧م، وهو ما قام به

(١) جريدة كتاب عمون، مقالة للدكتور خليل الرفوع عنوانها (إذا مت ظمآنًا فلا نزل القطر)

<https://www.ammonnews.net/article/413333>

(٢) الرواية، ص ١٩٠.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة، أمل دنقل، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ،

١٩٨٧م. ص ١١٠.

سبارتاكوس الذي قاوم جبروت الإمبراطورية الرومانية ورفض الرق والعبودية. (١)

وبالطريقة التي يعيشها ماهر في مجتمعه ورفضه للفقر وتقمصه دائماً لدور المناضل الشجاع الذي يحارب اللاقانون واللامعيارية جعله الكاتب رمزاً للتمرد والثورة فتشابهه مع شخصية (سبارتاكوس) الذي استحضره الكاتب في روايته واستدعى أقواله التي سجلها التاريخ وجعلها وثيقة للتعبير عن الحرية ورفض العبودية واستغلال البشر، وضمنها الكاتب في روايته وكأنها وصية لجميع المتمردين الثائرين.

ومن مظاهر الاقتباس من الشعر - أيضاً- أن يعرض المؤلف في مطلع فصول كثيرة من الرواية لنصوص من الشعر مع توثيق قائل هذه الأبيات، مثل قوله:

سَاعِيشُ رَغَمِ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ القِمَّةِ الشَّمَاءِ
أرْئُو إِلَى الشَّمْسِ المُضِيئَةِ هَازِئاً بِالسُّحْبِ والأَمْطَارِ والأَنْوَاءِ
لَا أَرْمُقُ الظِّلَّ الكَثِيبَ وَلَا أَرَى مَا فِي قَرَارِ الهُوَّةِ السَّوْدَاءِ
أَمَّا أَنَا فَأَجِيبُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَالشَّمْسُ وَالشَّفَقُ الجَمِيلُ إِزَائِي
مَنْ جَاشَ بِالوحيِ المَقْدَسِ قَلْبُهُ لَمْ يَحْتَفِلْ بِفدَاحَةِ الأَعْبَاءِ
شعر أبي القاسم الشابي (٢)

وقد تمثل الكاتب بهذه الأبيات مرة أخرى في ثنايا الفصل مضمناً الأبيات كما هي مع ذكر اسم الشاعر - أيضاً- ؛ لمناسبة ذلك للموقف الذي

(١) البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، عبد السلام المساوي، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤م، ص ١٦٧.

(٢) الرواية ص ٣٠٩.

يملي عليه الأحداث في الرواية، يقول الكاتب: "كانت هناك قمتا جبلين متقاربتان .. وثمة شيء بين الجبلين عندما اقتربوا أكثر رأوا أن هذا صف من الرجال المعلقين في وضع النسر فارد جناحيه. يتدلون بين قمتي الجبلين، مربوطين بجنازير قوية إلى القمتين، وكانت هناك شعلة نار قريبة منهم معلقة على سارية عالية ... واضح أنها هنا لمنعهم من التجمد. هل هم موتى؟

سَأَعِيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ
أرْئُو إلى الشَّمْسِ المُضِيئَةِ هازِنًا
لا أَرْمُقُ الظِّلَّ الكئِيبَ ولا أَرى
أَمَّا أَنَا فَأَجِيبُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ
مَنْ جَاشَ بالوحي المَقْدَسِ قَلْبُهُ
كأنَّسِرَ فَوْقَ القِمَّةِ الشَّمَاءِ
بالسُّحْبِ والأَمْطَارِ والأَنْوَاءِ
مَا فِي قَرَارِ الهُوءَةِ السَّوْدَاءِ
وَالشَّمْسِ وَالشَّفَقِ الجَمِيلِ إِزَائِي
لَمْ يَحْتَفِلْ بِفِداحَةِ الأَعْبَاءِ
شعر أبي القاسم الشابي. (١)

فالكاتب هنا استشهد بنشيد الجبار لأبي القاسم الشابي (٢) مرتين ، جعله في بداية الفصل في المرة الأولى، وضمنه ضمن التجربة القصصية في الاستشهاد الثاني؛ ليكون المؤثر المباشر للمتلقي، فالشاعر في الأبيات يقع تحت حيز الظلم ويحيط به وطأة المستعمر مع ثقل المرض، وهي معاناة تشبه المكابدة التي يعيشها الإنسان مع الظلام.

(١) الرواية ص ٣٣٨.

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي، المؤلف: أبو القاسم الشابي، تحقيق أحمد حسن بسج، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥، ص ٦٦. وديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، قدم له وشرحه مجيد طراد، الناشر: دار الكتاب العربي، ص ٢٩.

ولأن الوجدان من أهم عناصر التجربة الشعرية فقد انتقلت مشاعر وأحاسيس التجربة في أبيات أبي قاسم الشابي من الشعور بالسخط على الأعداء والألم من المرض ولكنه مع ذلك ليس يائساً بل يستمد دائماً العزيمة والأمل من الصعاب والعقبات إلى الموقف الذي يميله علينا الكاتب عبر الأحداث في الرواية من الإحساس بالضيق وكرهية الظلام ولكن مع ذلك التأقلم والتكيف معه.

ومرة أخرى يجري الكاتب بيتاً من الشعر على لسان فرد من أفراد الرواية كما في قوله: تحسس الثقوب.. كانت الرسالة قصيرة لكنها واضحة، فرغ من تحسس الرسالة ثم مزقها إلى قطع صغيرة وهو يواصل كلامه:

سَمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ^(١)

ومع كآبة الأحداث في الرواية في هذا العالم المظلم الممل لم يعد هناك -بالتأكيد- علم اسمه الخط ولكن حل مكانه رموز (برايل)، وفي عالم السواد والظلام يشعر الإنسان بالملل ويصير اليوم كعامٍ وتشبه الأيام الحروب من قسوتها وصعوبة ممارسة الحياة فيها؛ بسبب العيش مع هذا الظلام، وقد وافق هذا الشعور مشاعر زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي دعا فيها للسلم وكرهية الحروب، وكأن هذا الاستدلال ببيت زهير بن أبي سلمى^(٢) الشعري ناتج عن نفس الملل من الحياة التي يعيشها الناس مع الظلام، فجاء مقترناً بمعاني التشاؤم والسأم، فوضعنا الكاتب أمام حالة من

(١) الرواية، ص ٣١٠.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق علي حسن فاعور، الناشر: دار الكتب العلمية

١٤٠٨هـ، ١٨٨٨م، ص ٦٥.

الغضب والحزن والاعتراض على الواقع الذي يعيىشه الناس في عالم الظلام، وهو نفسه الواقع الذي تخلى فيه المجتمع والناس عن الأخلاق فعاشوا كالفئران في الممرات لا يكثرثون بقيم ولا يهتمون بمعايير.

وفى قوله: "لكنه كذلك يعرف أنها ليست بريئة جداً. لماذا قصدت مكتب الأستاذ في هذا اليوم والقسم كله مقفر؟ ليست بريئة أو هي حمقاء ساذجة جداً.

وبكرت أت حجرتي موهنا يقود خطاها غرور الصِّبا"^(١)
ومرة ثانية نجد الكاتب يستدعي قول الشاعر (إلياس فرحات)^(٢) وهو في معرض الحديث عن الطالبة الحسنة التي رآها (رامي) في مكتب الدكتور (مصطفى) ؛ ليكمل باقي الصورة التي رسمها عن الدكتور مصطفى الذي يريد إظهار عفته وبراعته، لتكتمل صورة الشخصية الأنومية في سياق الدفاع عن النفس وهو المتهم في شكل من أشكال اللامعيارية.
وأحياناً يتمثل الكاتب بأبيات من الشعر الغربي مثل قوله في بداية فصل عنوانه (عصر جديد) مع توثيق الأبيات في نهايتها بكتابة عنوان القصيدة التي أخذ منها الأبيات:

هنا لا توجد مياه وإنما يوجد صخر فقط

صخر ولا مياه والطريق الرملي

الطريق المتعرج في الأعالي بين الجبال

وهي جبال من صخر بلا ماء

(١) في ممر الفئران ، ص ٣٧.

(٢) الموشحات الأندلسية، دكتور محمد زكريا عناني ، صادر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عالم المعرفة ، ط يوليو 1980م، ص 40.

ولو كانت هناك مياه لتوقفنا وشربنا
بين الصخور التوقف محال والفكر محال
والعرق جاف والأقدام تغوص في الرمال
ليت بين الصخور مياهها!
ولكن جبل ميت به غار كغم نخر أسنانه السوس
أسنانه التي لا تستطيع أن تبصق
هنا لا سبيل إلى وقوف أو رقاد أو جلوس
حتى الصمت لا وجود له في الجبال
وإنما فيها رعد مجذب بلا أمطار
حتى الوحدة لا وجود لها في الجبال
وإنما فيها وجوه حمر كئيبة تهزأ أو تكشر
من قصيدة (الأرض الخراب) (١)

ومع الحالة النفسية السوداء التي تسيطر على الرواية يستعير الكاتب قصيدة الشاعر ت.س.اليوت (٢) الأرض الخراب، والتي تمتلأ بالاستعارات والايحاءات، ويقدم فيها اليوت صورة مظلمة للعالم بعد انتهاء الحرب وانتشار الخوف والزرع وتتحول نفس الكآبة إلى نفس الكاتب ورؤيته في الحياة معبرة عن نفس الخراب والضياع الداخلي لأفراد الرواية.

(١) الرواية، ص ١٣٣-١٤٠.

(٢) ت.س.اليوت، الأرض اليباب، الشاعر والقصيدة، المؤلف عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، ص 105.

المبحث الثالث: التناص التاريخي

التاريخ مصدر ثري بالأحداث ويمد المبدعين بطاقة إبداعية ملهمة لما يحمله من دلالات وإشارات وإشراقات تعطي للنص قوة وتماسكاً مما يلهب المشاعر ويشحذ الهمم، فهو مصدر إلهام كثير من الروائيين والشعراء وحتى على الصعيد الشخصي وبعيداً عن النتاج الأدبي، فالحادثة التاريخية تأخذ شكلاً آخر ويعاد إنتاجها ذهنياً مرات عدة وبأشكال متعددة، فالتاريخ ذلك الامتداد الطويل الذي يحوي كل المآثر ويختزن الانتصارات والنكسات معاً. (١)

ويعني التناص التاريخي أن يوظف الكاتب بعض الحوادث والشخصيات التاريخية في كتاباته ولعل الهدف منه تعميق رؤيته وفلسفته تجاه مواقف وأفكار يؤمن بها. (٢)

وقد عرج الكاتب على التناص مع الرموز التاريخية التي استحضرها في ذهنه حيث يحضر الرمز لكونه ينوب ويوحى بشيء آخر "لعلاقة بينهما من قرابة أو اقتران أو مشابهة، وهو وسيلة إدراك ما لا يستطيع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي، وهو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته (٣)

ننظر إلى الكاتب وهو يصف الموقف الذي رأى فيه الطالب رامي زميلته فاتن في حجرة الأستاذ: "لعل أسوأ المواقف وأصعبها كان موقف

(١) التناص التراثي، سعيد سلام، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠م، ص١٤٣.

(٢) ظواهر أسلوبية في شعر أحمد عبد المعطي حجازي، زياد الجازي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠١١ص٤٢.

(٣) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، ط٣، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٥٢-١٥٣، وانظر: الأدب ومذاهبه، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة، د.ت. ص١١٧-١٢.

رامي نفسه وفي عينيه نظرة تقول: أنا لم أر الكثير. أما الفتاة فهي شجرة الدر التي جروها عارية في شوارع القاهرة، جبل الهيبة الأثوية قد تهاوى. في اللحظة التالية نظرت فاتن للأرض. أغلقت زرين في قميصها والتقطت كراسات محاضراتها، وانطلقت هاربة من الغرفة.^(١)

وأمام ما يرسمه الكاتب من أزمة نفسية وواقع هزيم يعيشه المجتمع ويتجرعه الأبناء يعبر الكاتب عن شعوره القلق وامتعاضه تجاه واقع لا معيارية فيه ولا قانون للأخلاق، فيهرب إلى التاريخ البعيد ويستل منه شيئاً من القوة والعزة والكرامة، فعندما يذكر شجرة الدر يسترجع المرء معه ملامح هذه الشخصية جليّة؛ إذ نرى فيها "العقل المدبّر مع القوة والحزم والقلب المحبّ الحنون مع القسوة"^(٢) وكأن نظرة رامي لفاتن بعد هذا المشهد كانت تتسم بالحب وبالتعاطف معها فهي في نظره مجني عليها كشجرة الدر، فاستطاع الكاتب أن يجمع شمل حوادث جمّة في رمز تاريخي رائع جعل محوره الأساسي هو (شجرة الدر)، مُحافظاً على الجانب المشرق في الشخصية والجانب المؤلم منها.

ويحضر التاريخ في رواية أحمد خالد توفيق تارة أخرى على شكل أحداث تاريخية، والكاتب هنا يستحضر أحداثاً مضى عليها دهر ولكنها اشتهرت بين الناس وارتبطت أحداثها في الذاكرة الإنسانية ومن ثم يستدعيها ويسقطها على الواقع مثل قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير الجيوش الفرنسية خطاباً إلى كافة أهالي مصر الخاص والعام. نعلمكم

(١) رواية (في ممر الفنران) ، ص ٣١.

(٢) شجرة الدر، قصة تاريخية، محمد سعيد العريان، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠ م ،

أن بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وإدراك العواقب أوقعوا الفتنة والشور بين القاطنين في مصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة، والباري سبحانه وتعالى أمرني بالشفقة والرحمة على العباد. فامتثلت أمره وصرت رحيماً بكم شفوفاً عليكم ولكن حتى كان حصل عندي غيظ شديد وغم شديد بسبب تحريك الفتنة بينكم، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذي كنت قد رتبته لنظام البلد والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب الديوان كما كان والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضائه ومن يشك في ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة.

بونابرت

استيقظ الناس في ذلك اليوم ليسمعوا مكبرات الصوت تذيع البيان الأول للقومندان. اعلموا أن القومندان هو القلب الذي يركبكم ويعني بكم، ويوفر لكم حياة كريمة . لكنه في الآن ذاته يحكم العالم، وليس بحكم أحد أن يقاومه .. القومندان لا يطالبك بشيء ولا يرغمك على التخلي عن وطنك أو دينك أو مالك أو عرضك .. المسلمون سيظلون مسلمين ..المسيحيون سيظلون مسيحيين ..اليهود يبقون يهوداً .. وكذا يبقى البوذيون والكونفوشيوسيون والهندوس .. فقط يطلب القومندان أن تقدموا له نسبة من منتوج بلادكم مقابل حمايتكم، وأن تقبلوا بسلطته." (١)

(١) رواية (في ممر الفئران) ، ص ١٨١، ١٨٢.

والبيان الأول لنابليون بونابرت نشره للمصريين للتودد منهم ولكنهم لم يستجيبوا^(١) ولكن الكاتب وظفه في سياق التجربة التي تمر بها الرواية فالقمندان هو الوحيد المبصر فهو إذن المسيطر القوي على مجموعة من العميان؛ لذلك أتى البيان الثاني على لسان القمندان مستوحى من بيان بونابرت الأول، فالجامع بين الشخصيتين والنصين كبير، فكلاهما يريد كسب الثقة وجذب القلوب وتبديد الخوف وترسيخ فكرة الديمقراطية من شخص لا يتصف بها، وترويج فكرة العدالة الغير معترف بها.

(١) ينظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي ، تحقيق: حسن محمد جوه، عبد الفتاح السرنجاوي، السيد إبراهيم سالم، لجنة البيان العربي، (القاهرة: ١٩٥٨)، ص ٦٠، ودراسات في تاريخ الجبرتي، مصر في القرن الثامن عشر، محمود الشرقاوي (القاهرة: ١٩٥٥)، الجزء الأول، ص ٤٣، والتاريخ والمؤرخين في مصر في القرن التاسع عشر، جمال الدين الشيال (القاهرة: ١٩٥٨)، ص ٢٥.

الخاتمة

حاولت الدراسة أن تستعرض ملامح الأنوميا وإبراز الكاتب لها من خلال ظاهرة التناص في رواية (في ممر الفئران)، وقد انتهت الدراسة إلى نتائج، من أبرزها ما يلي:

(١) للأديب أحمد خالد توفيق طريقته الخاصة في اختياراته من نصوص الآخرين، وقد تفاعل النص الآخر مع نصه بل التحم به وصار على مستوى الصياغة والموقف الدلالي في النص غير متكلف.

(٣) جاء عنوان الرواية مطابقاً لفكرة الرئيسة في الرواية ودالاً على المعنى المراد من الإنوميا.

(٤) نجح الكاتب في استعراض ملامح الأنوميا من خلال ظاهرة التناص في أغلب مواضعه التي جاءت في الرواية.

(٨) ساعد التناص بألوانه المختلفة في الرواية على تعضيد النص، وإكسابه قيمة فنية وترسيخ الأبعاد الجمالية في الرواية ودعم النص بجوانب مختلفة قوية، كما أنه أضفى على المتخيّل السردى طابعاً واقعيّاً.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً : المصادر

- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، الناشر دار المدني بجدة.
- التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م.
- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو الهلال العسكري، حققه وضبط نصه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. ٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩ م.
- العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، لبنان ،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة) .
- تفسير القرآن الكريم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.

- تلخيص المفتاح، في المعاني والبيان والبدیع، الخطيب القزويني،. قرأه وكتب حواشيه وقدم له ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية سيّدا، بيروت، ط. ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

ثالثاً : المعاجم

- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣م.

رابعاً : المراجع

- أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاس ، بياربورديو، ترجمة عبد الجليل الكور ، دار توبقال للنشر ، المغرب ١٩٩٧م.
- آفاق الرؤيا الشعرية دراسات في أنواع التناس في الشعر الفلسطيني المعاصر ، إبراهيم نمر موسى، ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية الهيئة العامة للكتاب ، رام الله ، ٢٠٠٥م.
- الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع ، علي عبد الرازق جليبي ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م، الإسكندرية.
- الأدب ومذاهبه، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة، د.ت.
- الأنوميا الاجتماعية وتأثيرها في المدرسة ، يوسف بن صالح ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وحدة البحث التنمية والمحيط الاجتماعي بصفاقس، تونس، مجلة دراسات ، ISSN:2335-187X1k E.ISSN:260Z-5213المجلد ٩ العدد ١، السنة ٢٠٢٠م.
- البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، عبد السلام المساوي، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤م.
- التاريخ والمؤرخين في مصر في القرن التاسع عشر، جمال الدين الشيال (القاهرة: ١٩٥٨).

- التناس التراثي، سعيد سلام، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ٢٠١٠م .
- التناس نظرياً وتطبيقياً ، أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر، عمان، ٢٠٠٠م ط٢ .
- الشباب وظاهرة الأنومي ، قراءة في صراع الهوية القومية والعالمية ، إعداد :اد/ طلعت مصطفى السروجي عميد كلية الخدمة الاجتماعية الأسبق جامعة حلوان، اد/ سامية همام أستاذ خدمة الفرد كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، العدد الثالث.
- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، ط٣، بيروت، ١٩٨٣ .
- الموشحات الأندلسية، دكتور محمد زكريا عناني ، صادر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عالم المعرفة ، ط يوليو ١٩٨٠م
- النقد والدلالة نحو تحليل سمياني للأدب، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، ط. ١٩٩٦ .
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناس)، محمد فتاح، ط ٣ (بيروت، المركز الثقافي العربي ١٩٩٢م)
- ت. س. اليوت ، الأرض اليباب ، الشاعر والقصيدة ، المؤلف عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.
- دراسات في أدب مصر العربية، عوض الغباري، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، دار الثقافة العربية، القاهرة .
- دراسات في تاريخ الجبرتي، مصر في القرن الثامن عشر، محمود الشرفاوي (القاهرة: ١٩٥٥).

- رواية (في ممر الفئران) للدكتور أحمد خالد توفيق، القاهرة الكرامة للنشر .٢٠١٦م.
- شجرة الدر، قصة تاريخية، محمد سعيد العريان، الناشر مؤسسة هنداوي، .٢٠٢٠م.
- ظواهر أسلوبية في شعر أحمد عبد المعطي حجازي ، زياد الجازي ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ٢٠١١.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي ، تحقيق: حسن محمد جوه، عبد الفتاح السرنجاوي، السيد إبراهيم سالم، لجنة البيان العربي، (القاهرة: ١٩٥٨).
- من معالم الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، إبراهيم خليل، الطبعة الأولى، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م .

خامساً : الدواوين

- الأعمال الشعرية الكاملة ، أمل دنقل، مكتبة مدبولي، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ديوان ابن سهل الأندلسي، تأليف ابن سهل الأندلسي، تحقيق يسري عبد الغني عبدالله، دار الكتب العلمية ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ الطبعة الثالثة.
- ديوان أبي القاسم الشابي، المؤلف: أبو القاسم الشابي، تحقيق أحمد حسن بسج، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥، وديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ،قدم له وشرحه مجيد طراد، الناشر: دار الكتاب العربي.
- ديوان أبي فراس الحمداني ، طبعة مؤسسة هنداوي عام 2020م.
- ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبعة وزارة الثقافة 2007م.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق علي حسن فاعور، الناشر: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ ، ١٨٨٨م.

سادساً: الدوريات

- جريدة الأهرام المسائي العدد (٩٨٣٧) الموافق الثلاثاء ٣/ إبريل ٢٠١٨م، ص ٢، في مقال عنوانه: اليوم تشييع جنازة العراب أحمد خالد توفيق في طنطا.

- جريدة الأهرام السنة (١٤٢) العدد (٤٧٩٦٦)، الأربعاء، ١٧ رجب ١٤٣٩هـ، ١٤ إبريل ٢٠١٨م، ص ٢، في مقال عنوانه: (مبدع ما وراء الطبيعة يغادر كما يليق به).

- الشاعر العربي المعاصر والتراث ، عبدالوهاب البياتي، مجلة فصول ، م١، ع٤، ١٩٨١م/٢٢.

- جريدة كتاب عمون ، مقالة للدكتور خليل الرفوع عنوانها (إذا مت ظمناً فلان نزل القطر) ١٥ نوفمبر ، ٢٠١٨م.

<https://www.ammonnews.net/article/413333>

- مجلة دراسات اسلامية معاصرة ، عبد الكريم كاظم القرشي ، العدد السادس ، السنة الثالثة ، ٢٠١٢م ، مقال عنوانه: الظاهرة الاجتماعية عند اميل دور كايم (تحليل اجتماعي)

سابعاً: المواقع الالكترونية

- موقع (التميز السابع).
- موقع (أعلام ومشاهير).
- موقع (إضاءات).
- موقع (بوابة الأهرام).
- موقع (المصري اليوم).

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٧٩١
٢-	Abstract	٧٩٢
٣-	مقدمة	٧٩٣
٤-	التمهيد	٧٩٦
٥-	التعريف بالكاتب	٧٩٦
٦-	(الرواية - المحتوى والعنوان)	٧٩٧
٧-	عنوان الرواية	٧٩٨
٨-	مدخل عن تعريف الأنوميا	٧٩٨
٩-	مدخل عن التناص	٨٠٠
١٠-	المبحث الأول : التناص الديني	٨٠٤
١١-	المبحث الثاني: التناص الأدبي	٨١٣
١٢-	المبحث الثالث: التناص التاريخي	٨٢٣
١٣-	الخاتمة	٨٢٧
١٤-	المصادر والمراجع	٨٢٨
١٥-	فهرس الموضوعات	٨٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ